

الطبيب الحكيم ؟

عندما نريد ان نتكلم عن المضادات الحيوية والاطفال فإننا جزما لا نستطيع طرق هذا الموضوع دون ان ترسل تحية حب وعرفان لكل الأطباء واخص منهم طباء الاطفال الذين بذلوا جهدا كبيرا في التحصيل العلمي حتى اكرمهم الله تعالى بحصولهم على الدرجات العلمية التي تؤهلهم للعمل في هذا الجزء المهم جدا الا وهو فلذات الاكباد والمستقبل الواعد الذين ستقوم حضارة امتنا على اكتافهم من بنين وبنات .

وانني لا ادعي أنني اضيف جديدا إذا ما طلبت من اخواني الأطباء أن يتذكروا دائما ان الخلق عيال الله واحبه الى الله انفعهم لعياله وان اجرهم عند الله تعالى اذا ما صدقوا النيه وعظيم جدا فقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (32) سورة المائدة اي من ساعد في حفظ صحتها وبقيائها على قيد الحياة والا فلا يحي الأنفس الا الله تعالى.

المريض ام المرض؟

ان محاولة الطبيب علاج المرض قد يبدوا لكثير من الناس انه امر جيد لكن حقيقة الامر على عكس ذلك ، فقد تعالج المرض بشيء يضرب المريض كما هو الحال عندما تعالج طفلا مصاب بالتهاب بكتيري في الحلق بالبنسلين وهو في نفس الوقت يعاني من حساسيه مفرطه ضد البنسلين فإنك قد تتسبب في فقدانه حياته ، إذن فالطبيب الحاذق هو الذي يعالج المريض ككتلة واحدة فلا يعالج الرأس بما يضر الكبد ولا يعالج المعدة بما يضر الكلى.

وهذا امر قد نبهنا الكريم ﷺ طبيب ا لقلوب والابدان دحمة الله للعالمين وسيد ولد ادم اجمعين حيث قال (مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

ما اعظمك ايها النبي الكريم ﷺ أثناء الليل وأطراف النهار وصلى الله عليك عدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وعدد ما اظلم عليه الليل واشرق عليه النهار.

انها اشارة في غاية اللطف والحكمة تأمر الاطباء ان يتعاملوا مع المريض كجسد واحد وكيان واحد ليس كأجزاء متفرقة واعضاء متناثرة ، وان يهت بالمريض كإنسان يحمل مشاعر واحاسيس وليس كحالة طبيه يعتقد انها سوف تمضي معه كما هو موجود في كتب الطب.

وهذا ليس كل شيء فالإنسان كائن شديد التعقيد تبدوا فيه عظمة الخالق عز وجل واضحة حليه كما قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (21) سورة الذاريات ان رفع الحالة المعنوية للمريض تساعدك كثيرا جدا وذلك بربطه بالخالق عز وجل واستحضار ان هذا امر مقدر ويجب عليه الصبر وتذكيره ان الله يحب الصابرين وان الصابرين يوفون اجرهم بغير حساب ومحاوله ادخال السرر عليه بابتسامه جميلة لطيفة فهذا قد يساعدك في خطتك العلاجيه اكثر من كل مضادات الدنيا وادويتها وهذا امر واضح وجلي لا ينكر

المرض ام العرض؟

ان محاولة التعامل مع العرض بمعزل عن المرض وبالتالي عن المريض شيء خطير جدا وغير مقبول وانني لا يمكنني تصور ان اي طبيب قد يلجأ لهذه الطريقه التي تحمل خطورة واضحة فهي كمن يريد ان يسد ضوء الشيء بيده ، فالحمى عرض وليست مرضا والصداع عرض وليس مرضا فالعرض هو الذي يكون له اسباب متعددة ويجب على الطبيب ان يبحث عن السبب الاساسي وعلاجه لا ان يحاول كبت العرض الذي هو نعمة من الله حيث يعطي الانسان دلالة على وجود خلل بجسمه فيلجأ الى الله ثم الى الطبيب لمعالجه نفسه ، فكيف يعرف الانسان نفسه انه قد يعاني من حمى شوكيه مثلا اذا لم ترتفع درجه حرارته ويحس بالصداع - اي الاعراض- ولناخذ مثلا لكي يتضح الحال فإن طفلا في العاشرة من عمره اذا اشتكى من المة في مفاصله مع ارتفاع درجة الحرارة ثم تعامل طبيبه مع الاعراض (الم المفاصل - الحرارة) وذلك بوصف مسكن للألم والسخونة دون ان يكلف نفسه عناء البحث عن سبب لها فإن الطفل قد لا يعود اليه لأنه قد يفارق الحياة نتيجة التهاب شغاف القلب الذي يرافق هذه الاعراض في مرضى يسمى الحمى الروماتيزيه والامثله كثيره.

هل يكفي علاج المريض؟

اننا لا نوافق دون المرض ولا نوافق ايضا على التعامل مع المرض دون المريض ، بل انتفقا على ان يحاول الطبيب علاج مريضه من جميع النواحي العضويه والنفسيه ولكن هل هذا يكفي؟؟

قد يندهش بعضنا اذا قلت لكم ان هذا لا يكفي ابدا بل يجب على الطبيب ان يكون واسع الافق ببعد النظرة وان يوسع دائرة علاجه ليشمل الاسرة كاملة فنحن اسلفنا ان الوقايه خير من العلاج ومثال ذلك :

إذا شخص صغلاً انه مصاب بالدرن فلا يكفي ان تصف له العلاج بل يجب ان تطلب الاسرة كاملة الذين لهم احتكاك مباشر به فنعمل لهم الفحوصات المطلوبة للتأكد من سلامتهم، ومعالجة مريضهم ومثال ذلك ايضا عندما تشخص طفلاً مصاباً بالتهاب سحايا المخ البكتيري الناتج عن بعض انواع البكتيريا فيجب عليك على الفور اعطاء نوع من المضادات لجميع افراد الاسرة حتى تضمن سلامتهم .

اذن نحن لن نتعامل مع العرض مطلقاً الا كبوابه نبحت من خلالها عن المرض ولن نحاول معالجة المرض بمعزل عن المريض نفسه ولن نحاول معالجة المريض بمعزل عن اسرته فهل هذا يكفي ؟

قد تزيد الدهشه عند بعضنا اذا اخبرتكم ان هذا لا يكفي ابداً بل يجب ان توسع دائرة اهتمامنا فتشمل مجتمعنا كله فنقوم بمحاربه الامراض في عقر دارها بدل ان ننتظرها حتى تهاجمنا ثم نبدأ في الدفاع عن انفسنا بجهد اكبر وعوض مادي اكبر فخير وسيله للدفاع هي الهجوم .

وامثله ذلك كثير كبرامج مقاومه انواع البعوض والمسببه للكثير من الامراض ومحاوله القضاء عليها .

وهذا هو الطب الوقائي الذي اسلفنا الحديث عنه في اجزاء سابقه من كتابنا هذا

الطبيب الحاذق !!

- والان دعوني احيلكم الى الكتاب العظيم - الطب النبوي - لشيخ الاسلام ابن القيم وذلك لتعرف من هو الطبيب الحاذق يقول شيخ الاسلام ابن القيم :-
- والطبيب الحاذق : هو الذي يراعي في علاجه عشرين امرا :
- احدها : النظر في نوع المرض من اي الامراض هو ؟
- الثاني : النظر في سببه من اي شيء حدث ، والعله الفاعله التي كانت سبب حدوثه ما هي؟
- الثالث : قوة المريض ، وهي مقاومه للمرض ، او ضعف منه ؟ فإن كانت مقاومه للمرض ، متظهرة عليه ، تركها والمرض ، ولم يحرك بالدواء ساكنا .
- الرابع : مزاج الحادث على غير المجرى الطبيعي .
- الخامس : المزاج الحادث على غير المجرى الطبيعي
- السادس : سن المريض
- السابع : عاداته
- الثامن : الوقت الحاضر من فصول السنه وما يليق به
- التاسع : بلد المريض وتربيته
- العاشر: حال الهواء في وقت المرض
- الحادي عشر : النظر في الدواء المضاد لتلك العله .
- الثاني عشر : النظر في قوة الدواء ودرجته ، والموازنه بينها وبين قوة المريض
- الثالث عشر : الا يكون كل قصده ازاله تلك العله فقط ، بل ازالته لا يأمن معها حدوث عله اخرى اصعب منها ، ابقاها على حالها ، وتلطيفها هو الواجب ، وهذا كمرض اوفاه العروق ، فإنه متى عولج بقطعه وحبسه خيف حدوث ما هو اصعب منه .
- الرابع عشر: ان يعالج بالاسهل فالاسهل ، فلا ينتقل من العلاج بالغذاء الى الدواء الا عند تعذره ، ولا ينتقل الى الدواء المركب الا عند تعذر الدواء البسيط ، فمن حذق الطبيب علاجه بالأغذية بدل الأدوية البسيطة يدل المركبه .
- الخامس عشر: ان ينظر في العله ، هل هي مما يمكن علاجها اولاً ؟ فان لم يمكن علاجها

حفظ صناعته وحرمته ، ولا يحمله الطمع على علاج لا يفيد شيئاً ، وان امكن علاجها ، نظر هل يمكن زوالها ام لا ؟ فان علم انه لا يمكن زوالها ، نظر هل يمكن تخفيفها وتقليلها ام لا ؟ فان لم يمكن تقليلها ، ورأى ان غايه الامكان ايقافها وقطع زيادتها ، قصد بالعلاج ذلك ، واعان القوة ، واضعف المادة.

السادس عشر : الا يتعرض للخلط قبل نضجه باستفراغ ، بل يقصد انضاجه ، فاذا تم نضجه ، بادر الى استفراغه.

السابع عشر : ان يكون له خبره باعتلال القلوب والارواح وادويتها ، وذلك اصل عظيم في علاج الأبدان ، فان انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب امر مشهود ، والطبيب اذا كان عارفاً بأمراض القلب والروح وعلاجهما ، كان هو الطبيب الكامل ، والذي لا خبرة له بذلك وان كان حاذقاً في علاج الطبيعه واحوال البدن نصف طبيب ، وكل طبيب لا يداوي العليل ، بتفقد قلبه وصلاحه ، وتقويه روحه وقواه بالصدقه ، وفعل الخير ، والاحسان ، والاقبال على الله والدار الآخرة ، وليس بطبيب ، بل متطبب قاصر ، ومن اعظم علاجات المرض فعل الخير والاحسان والذكر والدعاء ، والتضرع والابتهال الى الله ، والتوبه ، ولهذه الامور تأثير في دفع العلل ، وحصول الشفاء اعظم من الادويه الطبيعيه ، ولكن بحسب استعداد النفس وقبولها وعقيدها في ذلك ونفعه .

الثامن عشر: التلطف بالمريض ، والرفق به ، كالتلطف بالصبي

التاسع عشر: ان يستعمل انواع العلاجات الطبيعيه والالهيه ، والعلاج بالتخييل فإن لحذاق الاطباء في التخييل امورا عجيبيه لا يصل اليها الدواء ، فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل معين.

العشرون : وهو ملاك امر الطبيب - ان يجعل علاجه وتديبره دائراً على ستة اركان :

حفظ الصحة الموجوده ، ورد الصحة المفقوده بحسب الامكان ، وازاله العله او تقليلها بحسب الامكان ، واحتمال ادنى المفسدتين لازاله اعظمها ، وتفويت ادنى المصلحتين لتحصيل اعظمها ، فعلى هذه الاصول الستة مدار العلاج ، وكل طبيب لا تكون هذه اخيته التي يرجع اليها ، فليس بطبيب ، والله اعلم .

ولما كان للمرض اربعة احوال : ابتداء ، وصعود ، وانتهاء وانحطاط ، تعين على الطبيب مراعاة كل حال من احوال المرض بما يناسبها ويليق بها ، ويستعمل في كل حال ما يجب